

الأفعال المفقودة أو الفلتات

Les actes manqués

للدكتور عبد الفتاح سلامة

إذا كانت الأمثلة السائرة والقصص المتداولة بين الجمهور تدل على شيء ، فانما يكون ذلك لأنها نتيجة لتجارب كثيرة ، لمس كل فرد حقيقتها ، وعرف مقدار الحكمة فيها ، ويمكن له الاستفادة منها بتطبيقها على ما قد يصادفه من حوادث . وقد تكون القصة الآتية واحدة من هذه القصص ، وإنا لنذكرها هنا لأنها تحتوى على فعل مفقود أو فلتة . وإذا عرفنا أن راوى هذه القصة هو أحد رجال البوليس فان من السهل معرفة الى أى حد يمكن للبوليس والقضاء الاستفادة من هذه الفلتات .

قال صديقنا — والعهد على الراوى — إن اثنين كانا يسيران فى جهة بعيدة عن العمران فأراد أحدهما اغتيال الآخر ، وبعد أن استعطفه دون جدوى قال له : وهل تظن أنك ناج من القصاص ؟ فأجابه : ولم لا ؟ فقال المسكين : « الهوا يخبر » . ولكنه قتله

من قبلهم ، وكذلك برهنت الثقافة التى نشروها على أنها توافق طبيعة كل الشعوب .

إن تكيف العرب لعلوم اليونان وتوسيعهم لفنونهم قد بلغ بهم الذروة فى الفلك والرياضيات والطب والطبيعات والكيمياء ، وهم لم يقتصروا على نشر الثقافة فيما بينهم ، بل نشروها خارج مملكتهم . إن موسى بن ميمون أعظم فلاسفة اليهود ، لم يكن يكتب بالعبرية ، بل بالعربية ، ومن المسلم به الآن أن تأثير العرب كان قوياً فى نجاح القديس توماس أكونياس مؤسس مناهج الدرس فى العصور الوسطى Scholastieism التى تعتبر بحق جسراً بين تفكير القرون الوسطى والتفكير الحديث .

وعلى ذلك فان سلسلة الثقافة ظلت تامة ولم تنقطع من عهد اليونان الى ثقافة العرب الى مدينة أوروبا الحديثة

بشير التريقى
الحامى

شرقى الأردن

ووارى جثته التراب ورجع وحده الى بلده ؛ ولم يهتد أحد الى مقر القتل المسكين . مضى على ذلك وقت غير قصير ، واطمان القاتل الى النجاة . وفى ذات ليلة قمرية جميلة جلس القاتل وزوجه يتبادلان الحديث — والحديث ذو شجون — وتوالت الأفكار على رأسه ، واذا به يتسم فى غير موضع للابتسام ، واذا بزوجه تصر على معرفة سبب الابتسام ، فيقول لها إنه تذكر كلمة قالها رجل معتوه أثناء قتله ، وهذه الكلمة هى (الهوا يخبر) . فلا تزال هى به حتى يعترف لها بكل شيء يتعلق بالجريمة وبمكان الجثة . فلا ابتسام إذن هو الفلتة التى كشفت سرّاً كان يحرس على كتمانها ؛ وهى التى حققت المثل القائل : « مهما تبطن ، تظهره الأيام » . ولا حاجة بنا الى القول بأن فلتات مشابهة لهذه قد اضطرت الزوجة الى الاعتراف الى صديقة لها ، وهكذا شاع الأمر وأمكن إدانة القاتل . ولعلنا نكون قد توصلنا بإيراد هذه القصة الى إيضاح مانقصد من كلمة « فلتات ، أو أفعال مفقودة » ، إذ أننا بعد أن تكلمنا عن تأثير الايحاء فى بعض الأمراض العصبية وكذلك فى بعض الأمراض الأخرى ، نود أن نتكلم عن التحليل النفسى ، لأنه هو الوسيلة الوحيدة للكشف عن المشادة اللاشعورية ، وهى التى تحدث بين ذلك الشيطان — اللاشعور — والنفس .

ويكون التحليل النفسى ممكناً بالمناقشة والاستفادة من الفلتات ومن الأحلام ومن الأعراض عند المرضى . وقد سبق أن تكلمنا عن تفسير الأحلام التحليلي .

أما الفلتات أو الأفعال المفقودة فانها أفعال تصدر فى الغالب عن غير إرادة الانسان ، كأن ينطق فى سياق حديثه بكلمة لا يريد بها ، وقد ينتبه أو لا ينتبه الى ما صدر منه ، (فلتة لفظية) . أو قد يكتب كلمة غير التى يريد كتابتها ، أو قد ينسى كلمة كان يود أن يكتبها ، (فلتة كتابية) . وقد ينسى الانسان شيئاً كان يذكره منذ لحظة قصيرة ، فيبحث عن قلم وهو فى يده ، أو يريد أن يتذكر اسم شخص أو بلد كان يعرفهما تماماً ، ولكنه لا يمكن له ذلك ، (فلتة من فلتات الذاكرة ، وهو ما نسميه بالنسيان) .

وكذلك قد نتحدث الى شخص وهو منتبه اليك ، ولكنه لا يلبث أن يسرح ببصره فى الفضاء ، أو أن يتغير لونه ، أو أن يلعب بأصابعه فى أى شيء ، ثم يسألك أو لا يسألك بعد ذلك عما كنت تتحدث به اليه لأنه (لم يأخذ باله) . وهذا بالطبع معناه أنه حدث له ما صرف انتباهه الى ناحية أخرى .

التي سببت اكتشاف سره، ونرى هل هي الأخرى وليدة رغبتي
عنده؟ وهل في هاتين الرغبتين ما يدل على التعارض؟ وإلى أى حد
يمكن استخدام الفلتات في الكشف عن خفايا نفسية المجرم؟
فلقد جلس هذا إلى زوجه وعنده رغبتيان: الأولى حب الظهور
بالبطولة، وإظهار بأسه وقوته. والثانية حب كتمانها لما فعل خوفاً
من تسرب الأخبار والوقوع تحت طائلة العقاب، فهو إذن بين
رغبتين تتنازعانه، وبينما تشدد رغبة النجاة في كبت رغبة
الزهو والاعتداد بالنفس إذا بهذه الرغبة الأخيرة تنتهز الفرصة
للظهور في وقت ضعف الرغبة الأولى تحت تأثير الهوى. وهكذا
يتحقق الزهو والفخر، ولكن هذا التحقق ان هو إلا تحقق رمزي
وذلك بالابتسام، وما الابتسام إلا رمز الانتصار، لأن رغبة النجاة
مهما ضعفت فإنها لا تسمح بالاعتراف والفخر الصريح. وهكذا
كان، فقد ابتسم الرجل في غير موضع الابتسام، ولكنه مع ذلك
يأبى الاعتراف الصريح أولاً. وهنا نرى الزوجة تقوم بدور المحلل
النفسى فتستخلص منه ما كان يأبى الاعتراف به.

وإذا كنا فيما سبق قد قلنا إن الشعراء والأدباء والفنانين
يستخدمون الخيال، فإن ذلك من دواعي الفخر لهم، لأن التخيل
ممکن وموجود عند كل إنسان، وإنما امتاز هؤلاء بإمكان استخدام
خيالهم وتحقيق أحلامهم على صورة رمزية جميلة تأخذ بالألباب.
وفوق ذلك فإن لهم من حسن الذوق ودقة الحس ما يسمح لهم
بملاحظة كل ما يمر أمامهم من دقائق الحياة، وهكذا فإن الأفعال
المفقودة أو الفلتات لم تفت عليهم، بل انهم استخدموا هذه الأفعال
لتجميل الأسلوب وتوضيح المقصود، وقد أظهر لنا فرويد مثليين
من ذلك. ففي رواية تاجر البندقية لشكسبير تقول بورشيا
لبسانيو الذى يتقدم إلى الصناديق الثلاثة ليحرب حظه في نيل
يدها «إن عينك هذه تقسمنى إلى نصفين. فالنصف الأول لك
وأما النصف الثانى فهو لك... أريد فهو لى». والسبب في
هذه الفلته الكلامية هو أن بورشيا تريد أن تقول إنها كلها له.
وفي رواية أخرى. يقول كاستنبرج لا وكتافيو. (إلى أين أنت
ذاهب). فيجيب اوكتافيو (إليها... إلى الدوق هيا بنا)
والسبب في هذه الفلته أيضاً هو رغبة اوكتافيو في اللحاق بالفتاة
التي يحبها.

فلماذا لفظ الإنسان أو كتب ما لا يريد؟ ولماذا نسى ما كان
يعرفه تماماً منذ لحظة قصيرة؟ السبب في ذلك هو في وجود
رغبتين عند الإنسان، وفي أن إحداها مكبوتة *refoulee*، والرغبة
المكبوتة قد تكون لاشعورية أو شعورية أو تمييزية كذلك،
ولكنها في الغالب رغبة لاشعورية، حيث لا يعرف عنها صاحبها
شيئاً إلا بعد التحليل. أما إذا كانت شعورية أو تمييزية فإن
صاحبها ليس في احتياج إلى تحليل لمعرفة ما. هذا فيما يتعلق بالرغبة
المكبوتة. أما الرغبة الأخرى فإنها في الغالب رغبة تمييزية،
ولكنها قد تكون شعورية أو لاشعورية كذلك؛ فصاحب
الفعل المفقود إذن يجد نفسه أمام رغبتيين، وهو في أثناء تعبيره
عن الرغبة غير المكبوتة عنده تتحين الرغبة المكبوتة أى فرصة
للظهور، وهى عند ما تسنح لها هذه الفرصة تجد سبيلها إلى الظهور
بواسطة أى لفظ أو حركة تم عليها، وهذا اللفظ أو الحركة هو ما
نسميه الفلته أو الفعل المفقود أو الفعل غير الإرادى *acte manqué*
أو *lapsus*

ومع أن الفعل المفقود قد أظهر الرغبة المكبوتة فإنه لم يتمكن
من تنفيذ هذه الرغبة، لأن الإنسان سرعان ما يستنكر صدور
هذه الفلته منه، ويتساءل كيف أخطأ في تعبيره. والواقع أن
الرغبة المكبوتة وهى التي سببت هذه الفلته قد اكتفت بهذا
التحقق الرمزي أو التلميحى بواسطة الفعل المفقود، لأن التحقق
الفعلى تأباه عليها ظروف الحياة، فهو إذن غير ممكن لها. وهكذا
تكتفى الرغبة المكبوتة بالأوهام بدلاً من الحقيقة الواقعة، ومثلها
في ذلك مثل الأفكار الذاتية التي سبق أن تكلمنا عنها سواء
بسواء. لأن الرغبة المكبوتة مهما كانت شعورية أو تمييزية فإنها
في الأصل من اللاشعور، وهو الذى يكتفى في تنفيذ رغباته بالأوهام.
وأما الفرص التي تنتهزها الرغبة المكبوتة فهى كثيرة:
فالتعب واهتياج الشعور والاجتهاد الفكرى وكل ما من شأنه أن
يقلل من انتباه الإنسان يساعد على إيجاد هذه الأفعال المفقودة.

والرغبتان اللتان نشأ عنهما الفعل المفقود قد تكونان متعارضتين،
فيكون اللفظ إذن عكس ما كان يراد تماماً، وقد تكون إحدى
الرغبتين معدلة للأخرى أو مكملة أو مؤكدة لها؛ وسندكر فيما بعد
بعض الأمثلة على كل نوع منها. ولنرجع الآن إلى ابتسامه القاتل

وكل ما يبينه الخيال من تصورات وأمان ، وإذا كنا قد ذكرنا الفنان هنا فإن من الانصاف أن نقول إنه عرف كيف يسمو برغبته ذلك السمو البارع الجميل .

ولا يمكن أن يكون هذا الموضوع تاماً إلا إذا تكلمنا عن المسألة الجنسية ، وعن قصة أوديب الملك كما ينظر إليها فرويد ، وهذا ما نرجو أن تتمكن من إيضاحه فيما بعد ، إلا أن ماسبق أن أوردناه يسمح لنا أن نقول إن الأيحاء وحده لا يمكن أن يثمر الشفاء التام الدائم إلا إذا سبقه التحليل والكشف عن الرغبات الكامنة السالفة الذكر . ولنرجع الآن إلى الموضوع الذى يشغلنا وهو الفلتات أو الأفعال المفقودة . فقد بينا أن هذه الفلتات قد تكون كلامية . كأن يذكر كلمة غير التى كان يود أن يقولها أو يقرأها إذا كان يتكلم أو يقرأ من أى ورقة أو كتاب . أو فلتة سماعية ، كأن يسمع كلمة غير التى قيلت له أو بمعنى آخر يتخيل سماع الكلمة المعينة ، أو فلتة كتابية كأن يكتب غير الكلمة التى كان يريد كتابتها أو يمحو كلمة غير التى كان يريد محوها . أو فلتة من فلتات الذاكرة وهو ما نسميه بالنسيان — وقلنا إننا سندكر بعض الأمثلة على كل هذا ، وأن الكلمة الخطأ قد تكون عكس الكلمة المطلوبة — المخالفة قد تكون فى ترتيب الحروف وفى معنى الكلمة — أو معدلة لها أو كلمة مدغومة فى غيرها . الخ والواقع أن الأمثلة على كل نوع منها كثيرة ولا تدخل تحت حصر ، ومن منا لم يسمع أو يلاحظ الكثير منها فى كل يوم وفى كل مكان ؟ . ولهذا فأنى أترك الأمثلة لمن يود أن يلاحظ بنفسه هذه الفلتات وأن يتعرف إلى الغرض الذى حدثت من أجله . وأتكلم الآن عن فلتات الذاكرة أو النسيان ، فقد أخبرنى صديق لى أنه أراد مرة أن يتحدث عن شخص عرفه من مدة قريبة وعرف اسمه وسمع ذلك الاسم مراراً ، ولكنه مع ذلك كان ينسى اسمه كلما أراد أن يتحدث عنه . وبعد جهد فى محاولة استدكار الاسم فانه يذكر اسماً آخر على أنه الاسم المطلوب — وهكذا يسمى صديق ذلك الشخص (شافى) دائماً بدل اسمه الحقيقى ، وذلك بعد جهد فى التذكر بدون جدوى ، وهو إذ يقول إن اسمه شافى لا يقولها بصفة التأكيد أيضاً فى كثير من الأحيان : وفى ذات مرة بعد لحظة قصيرة من التأملات أخذت الأفكار تتوالى على

وأما النكت والفكاهات التى تقال على البديهة فانها نوع آخر من الأفعال المفقودة ، إلا أن قائلها يتذرع بالضحك لستر رغبته الكامنة ، ومع ذلك فان هذه الرغبات كثيراً ما تكتفى حقيقة بالأوهام ، فلا تصر على التنفيذ الحقيقى لها ، وإنما تكتفى بالرموز والتلميح كما تقدم .

ويمكن استخدام هذه الأفعال فى انتخاب الأسئلة المخرجة وفى توجيه الاتهامات والمناقشة إلى الهدف الذى يرمى إليه المحقق ، أما فيما يتعلق بالمرضى فان التحليل النفسى لا يطمع من المريض أن يعترف برغبته اللاشعورية ، ولكنه يطمع فقط فى أن يعرف المريض رغبته فى أثناء المناقشة معه ، ولو أنه قد ينكرها بتاتاً ، وقد يكون ذلك الانكار خجلاً أو لأى سبب آخر ، ولكن إنكاره هذا لا يمنع من وصول رغبته إلى الشعور ، ومن ثم إلى التمييز لمناقشتها . فليس الاعتراف إذن ضرورياً للشفاء مادامت الرغبة قد وصلت إلى التمييز ، والانكار نفسه قد يكون طريقة من طرق السمو بالرغبة ، وهذا السمو هو فى الواقع ميزة من ميزات التحليل النفسى ومن أجلها يفضل على الإيحاء . والرغبة المحرمة يسمو بها الانسان إذا صورها وعدلها فاصبحت غير مخالفة لنظام المجتمع وتقاليده . فقد يفكر الانسان فى الاضرار بأى شخص كان لكراهيته له ، وذلك إظهاراً لمقدرته على البطش والأذى ، ولكنه قد يسمو فيكتفى فقط بإظهار قدرته على الأذى ثم يعفو ويتسامح بعد ذلك . وهذا هو ما يحدث تماماً عند ما يسمو المريض العصبى برغبته . ولكن رغبة هذا المريض العصبى ليست من هذا النوع البسيط من الرغبات فانها هى والرغبات التى تتجلى فى الأحلام والتى تملئ على الفنان فنه ليست إلا رغبات جنسية تتعلق بأشخاص من ذوى القربى ، وقد عرف كل من المريض العصبى ، وصاحب الرؤيا ، ورجل الفن طريقه إلى تحقيق رغبته . وإن كان هذا التحقيق رمزياً مشوهاً لا يدل فى الظاهر على أى رغبة محرمة ، ولكن التحليل فى كل الحالات قد أثبت أن أعراض المريض والرؤيا ومنتجات الفن ليست إلا هذا التحقيق الرمزى المشوه لهذه الرغبات . فالرغبة المحرمة المجهولة لصاحبها لأنها مكبوتة بفعل الضمير هى أصل كل أعراض المرض ، وهى أصل الرؤيا ، وهى التى توحى الفن إلى الفنان ، بل هى سبب التخيل

عقله ولم يكن يقصد أن يتذكر الاسم الذي ينساه دائماً وإذا به يصيح فجأة إن اسمه (شلي)

نعم . هذا هو ما حدث لصديقي ، وأراد أن يعرف لماذا نسي ذلك الاسم ، ثم لماذا ذكر شافعي بدل شلي مع شكه أيضاً في أن ذلك هو اسمه الحقيقي . ولما سأله أن يذكر لي كل ما يعرفه عن أي شخص آخر يسمى بنفس هذا الاسم (شلي) أخبرني أنه كان يعرف شخصاً بهذا الاسم ولكن لم تكن بينهما صداقة ما . بل بالعكس فأنهما كانا متنافرين — هذا يفسر لنا نسيان الاسم (شلي) ولكنه لا يفسر لماذا يسميه شافعي في كثير من الأحيان فسأله أن يذكر لي شيئاً عمن يعرفهم باسم شافعي هذا . وهنا صاح متعجباً أنه يعرف شخصاً محترماً بهذا الاسم وأن هذا الشخص المحترم (شافعي) من حيث الخلقة والشكل العمومي يشبه (شلي) ذلك الشخص المكروه الذي مضى على معرفته إياه وقطعه كل علاقة به زمن طويل — هذا هو اذن سر ابدال الاسم ، وهو جواب ما كان يسأل عنه .

وقد ذكر فرويد أن رجلاً كان بينه وبين زوجته نفور ، ولكنه لم يكن قد صارحها بأي شيء ، وهي مع ذلك تحبه وتخلص له . وقد أهدته كتاباً شيقاً في نظرها ليقراه . ولكنه وضعه في جهة معينة ولما أراد البحث عنه لقراءته لم يتمكن من تذكر المكان الذي وضعه فيه برغم كل الجهود التي بذلها في هذا السبيل . ثم حدث أن والدته مرضت مرضاً شديداً أحمل زوجته على أن تعتني بها وتمرضها ، وكان من نتيجة ذلك أن شعر الزوج بشكره لزوجته لعنايتها بوالدته ، وتحول هذا الشكر الى تقدير ، ثم رجع الحب الى سابق عهده . ثم لما رجع الى بيته ذات يوم فتح درجاً من أدراج المكتب بدون أي فكرة عن امكان العثور على الكتاب ولكنه لدهشته وجده فيه ، برغم مضي أكثر من ستة أشهر على وجوده فيه ، وبحته عنه على جملة مرات في هذه المدة .

أليست عوامل المودة والنفور هي التي تؤثر في النسيان والتذكر وحدها ؟ فأننا سبق أن تكلمنا عن فعل الضمير في هذا الشأن ، وكيف أنه يكبت الرغبة فيردها الى اللاشعور ، ولست في حاجة الى القول بأن الإنسان لا يذكر أو بمعنى آخر لا يشعر إلا بما يعرفه الجزء الشعوري من عقله . فكل فكرة تتمكن من الوصول الى

الشعور فهي شعورية ، أي أن الإنسان يعرفها ويذكرها ، وكل فكرة ترتد الى اللاشعور أو تحفظ فيه فهي فكرة لاشعورية لا يعرفها الإنسان ولا يذكر الحوادث المتعلقة بها . على أنه من السهل التنقيب عما يوجد في ذلك المخزن — اللاشعور — اذا ترك الإنسان لحرية تفكيره العنان ، فلا يعترض حرية التفكير هذه بنقد أو تجريح ولا يرمي أي فكرة تأتي اليه بأنها غير معقولة أو غير جائزة أو الخ . . . بل يترك نفسه للتفكير فلا تلبث الأفكار إذن أن تتوالى كما يقول المثل — الشيء بالشيء يذكر — لأننا سبق أن بينا أن الأفكار والرغبات مسجلة على قواعـد الأصطحاب والقرينة ، أي أن الأشياء المتشابهة أو المتضادة والمتقاربة والمتباعدة مسجلة بالقرب من بعضها ، واذا ذكر أحدها فلا بد من تذكر الآخر . واذا ذكر الإنسان صديقه فلا يلبث أن يذكر أشياء كثيرة معه كبيته أو المقهى الذي يجلسان به أو الكلام الذي حدث بينهما ، واذا تذكر هذا المقهى فقد يذكر مقهى آخر في أوروبا أو أي بلد آخر ، ويذكر معه الحوادث التي مرت به في هذا المقهى الآخر وهلم جرا .

فاذا كانت الفلتات تخدم التحليل النفسي لأنها توجه نظر المحلل الى وجهات مهمة فتوحى اليه بالأسئلة الواجب القاؤها على المريض ، وهذا يتطلب من المحلل ذهنًا صافياً وفكرًا سليماً ، فان على المريض واجباً آخر يجب عليه أن يراعاه ، وهو أن يلتزم الأخلاص في كل اجاباته على الأسئلة التي توجه اليه ، ويجب أن يعلم أن مقدار اخلاصه هذا يعرفه الطبيب المحلل نفسه . وفوق ذلك فانه يجب أن يترك أفكاره حرة من كل قيد فيجيب بكل ما يخطر على باله بصرف النظر عن موافقة ذلك للمعقول والجارئ أو مخالفته لهما .

ولا يفوتني أن أذكر هنا أن شاعرنا شوقي بك في روايته الخالدة « مجنون ليلى » قد ذكر فلتة على لسان ليلى العامرية ، فقد ذكرت المسكينة اسم قيس مرتين دون أن تشعر ، ولما نهتها زميلة لها الى ذلك قالت : وأي شيء في ذلك لو ذكرت قيساً ثلاثاً . ثم قالت « يا قيس ناجي باسمك القلب اللسان فعثر » .